Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانياً : لهذا نجد أن مطلع القصيدة نال اهتماماً واضحاً من علماء الأدب وناقديه سواء فى القديم والحديث ، فأما فى القديم فنجد اهتمامهم بالمطلع لذاته ملحوظاً ، فإن نقدهم للمطلع جيده ورديئه كان من أقدم ما وصل إلينا من نقدهم للشعر ، وكان اهتمامهم به أوضح من اهتمامهم بالعناصر الأخرى فى القصيدة ، وقد عقدوا فصولاً خاصة للموازنة بين ابتداءات الشعراء ومطالعهم ، كما فعل الآمدى فى موازنته بين مطالع أبى تمام والبحترى ، وأما فى الحديث فإن مطلع القصيدة التقليدية شغل الباحثين والنقاد شغلاً واضحاً ، سواء من المستشرقين والدارسين العرب ، حتى دفع بعضهم إلى متاهات من التفكير والتخمين ، كان فى بعضها كثير من التجنى على الشعر القديم ، كدعوى فقدان الوحدة العضوية فى القصيدة القديمة ، نتيجة لتوهمهم أن مطلع القصيدة وما يتبعه من مقدمتها منفصل فى موضوعه عن موضوع القصيدة ومخالف له ، وكدعوى أن مقدمات القصائد الجاهلية تنبىء عن حيرة دينية ، أو اضطرابات معيشية تنبع من تقاليد البيئة وطبيعتها .

ثالثاً : ليس من اليسير أن أحدد بدء فكرة هذا الكتاب وموضوعه فى نفسى ، ولكنى أذكر أن من أول ما استوقفنى من المطالع مطلع قصيدة كعب بن زهير المشهورة (بانت سعاد) التى أنشدها بين يدى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مادحاً ومعتذراً ، وكان أهم ما استوقفنى فى هذا المطلع ليس كونه غزلاً أمام النبى ، وإنما الأوصاف الخلقية التى وصف بها كعب محبوبته المزعومة سعاداً ، فمع حديث كعب عن حبه لسعاده وعن جمالها ، إلا أنه يفيض عليها أوصافاً خلقية بالغة السوء ، من خيانة العهد ، ومن التلوُّن والغدر ، مما ينبىء عن سخط عارم فى نفس كعب ، فلم هذا السخط وعلى من ؟ ومن الذى يحمل هذه الصفات السيئة التى جعل سعاداً موضعاً لها ؟ وكيف يبدى كعب هذا السخط وهذه النقمة فى موقف لا تنتظر فيه إلا معانى المدح والاستعطاف من الشاعر للممدوح ؟ وحين عرضت لتحليل هذا المطلع فى بعض ما كتبت [1] لم يكن الأمر فى حاجة إلى كبير تأمل ليتبين أن هذه المعانى والانفعالات من الشاعر لم تكن إلا صدى لنفسيته إزاء المجتمع الذى كان يحسب أنه حافل بالأصدقاء والأعوان ، وبالذين يتسابقون إلى حمايته من أى وعيد ، ولو كان وعيد النبى الجديد ، فإذا هو يفاجأ بتخلى كل الأصدقاء والأعوان والمعارف ، وهو لم ينشىء القصيدة أمام النبى ، وإنما أنشأها وأعدها قبل ذلك فى هذه المعاناة التى عاناها من شعوره بتخلى كل